

The Absence of Context in Modernist Reading and The Misunderstanding of The Religious Texts

ظاهرة غياب السياق في القراءة الحداثية والفهم الخاطئ للنص الشرعي

Lutfiah Amaliyah¹, Ahmad Abdel Razek², Saadiyah Ratnasari Sagala³

^{1,2,3} Sekolah Tinggi Ilmu Bahasa Arab Ar Raayah, Sukabumi, Indonesia

E-Mail: lutfiahmansur12@gmail.com¹; ahmadalkhotib1973@gmail.com²

saadiyahratna@araayah.ac.id³

Submission: 17-05-2025

Revised: 24-05-2025

Accepted: 20-02-2025

Published: 28-07-2025

Abstract

Modernists believe that Sharia came to achieve certain general objectives, and neglected the forms and means of achieving these objectives. This is because these means are changeable and cannot be limited. Thus, the modernist methodology neglected context and its contextual and situational evidence, which are among the most important fundamentalist techniques for identifying the objectives of the Lawgiver. This study aims to explore the relevance between the absence of context in the modernist reading and the misunderstanding of the Qur'an and Sunnah. The phenomenon of the absence of context in modernist reading is clearly evident, whether in the realm of theory, application, or practice. Modernists are not read these texts in their entirety, within their legal context and the contextual and situational clues that surround them. Rather, it severs the beginning from the end, and the end from the beginning, bringing together the disparate and dividing the community out of fear of the reality of legitimacy. The researcher conducted this study due to the importance of understanding context for a correct understanding of the Quran and Sunnah. In this research, the researcher adopted a descriptive and analytical approach, using observation to collect data and Millis and Huberman's method for data analysis, which involves classifying, presenting, and drawing conclusions. This research demonstrated that the phenomenon of the absence of context in modernist readings of religious texts represents a major challenge to the correct understanding of the Quran and Sunnah.

Keywords: Modernist Reading; Contexts; religious texts.

Abstrak

Kalangan Modernis beranggapan bahwa hukum Syariah ditetapkan untuk mencapai tujuan umum tertentu, dan tidak mempertimbangkan konteks dan cara pencapaian tujuan tersebut. Sebab, menurut mereka, sarana tersebut bersifat bervariasi dan tidak dapat dibatasi. Dengan demikian, pendekatan modernis mengabaikan konteks dan bukti kontekstual dan situasionalnya, yang merupakan salah satu teknik fundamentalis terpenting untuk memahami tujuan Sang Pemberi Hukum. Penelitian ini bertujuan untuk memahami relevansi antara ketiadaan konteks dalam pembacaan modernis dengan kesalahpahaman terhadap Al-Quran dan Sunnah. Fenomena ketiadaan konteks dalam pembacaan modernis terlihat jelas, baik dalam bidang teori, aplikasi maupun praktik. Para modernis tidak membaca teks-teks ini secara lengkap, berdasarkan konteks hukum dan petunjuk kontekstual serta



situasional yang melingkupinya. Sebaliknya, ia memisahkan awal dari akhir, dan akhir dari awal, menyatukan yang berbeda dan memisahkan masyarakat karena takut terhadap kebenaran legitimasi. Peneliti melakukan penelitian ini karena pentingnya memahami konteks untuk memahami Al-Qur'an dan Sunnah dengan benar. Dalam penelitian ini, peneliti menggunakan pendekatan deskriptif analitis dan menggunakan metode observasi untuk mengumpulkan data serta metode Mills dan Huberman untuk menganalisis data, yaitu mengklasifikasikan, menyajikan, dan menyimpulkan data. Penelitian ini membuktikan bahwa fenomena ketiadaan konteks dalam pembacaan teks-teks keagamaan modern merupakan tantangan besar bagi pemahaman Al-Qur'an dan Sunnah yang benar.

Kata kunci : Pembaca Modernis;Konteks; Al-Qur'an dan Sunnah

ملخص البحث

يرى الحداثيون أن الشريعة جاءت لتحقيق بعض المقاصد العامة، ولم تهتم بالأشكال والوسائل الموصلة إلى هذه المقاصد، لأن هذه الوسائل متغيرة عندهم ولا يمكن حصرها، وبذلك أهدرت المنهجية الحداثية السياق، وقرائنه المقالية والمقامية، والتي هي من أهم التقنيات الأصولية للتعرف على مقاصد الشارع. وهدفت هذه الدراسة إلى معرفة علاقة غياب السياق في القراءة الحداثية والفهم الخاطئ للقرآن والسنة. فإن ظاهرة غياب السياق في القراءة الحداثية بادة للعيان، سواء أكان في ميدان التنظير أو التطبيق أو الممارسة، حيث إن القراءة الحداثية لا تقرأ تلك النصوص بصورة كاملة، وفق سياقها الشرعي وما يحف بها من قرائن مقالية ومقامية، بل يقطع أولها عن آخرها، وآخرها عن أولها، فيجمع بين المتفرق، ويفرق بين المجتمع خشية حقيقة الشرعية. ويقام الباحثة بهذه الدراسة نظرا إلى أهمية فهم السياق للفهم الصحيح للقرآن والسنة. سلكت الباحثة في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي واتبعت طريقة الملاحظة لجمع البيانات وطريقة ميلس وحوبرمان في تحليل البيانات وهي تصنيف البيانات وعرضها واستنتاجها. وأثبت هذا البحث أن ظاهرة غياب السياق في القراءة الحداثية للنصوص الدينية تمثل تحديا كبيرا للفهم الصحيح للقرآن والسنة.

الكلمات المفتاحية: القراءة الحداثية، السياق، القرآن والسنة.

المقدمة

إن المفسر للقرآن مهما حصل من العلوم، وحاز من الفضل والفتنة والذكاء، وطال به النظر في كتاب الله فإنه لا يستطيع أن يدعي أن تفسيره قد أحاط بعشر أعشار معانيه، كما أن الراغب في تفسيره لا يفزعه أو يقنطه الكثرة المتكاثرة من التفاسير المؤلفة لذلك، بل يقرأ أغلبها وهو يعلم يقينا بأن ما تركته أكثر بكثير مم كتبه، فيتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بخدمة هذا الكتاب الكريم.

وإن هذا المفسر حين يريد الإقدام على تفسيره، فإنه يراعي أصولاً تفسيرية وضعها العلماء لتنضبط المعلني المستنبطة بها، حتى يُعرف مراد الله من غيره ولكيلا يتقول على الله أحد. ولقد كانت أصول التفسير المتعلقة بالسياق مما اعتنى به المفسرون - قديماً وحديثاً - أثناء تدبرهم لكتاب الله؛ حيث إن إغفال دلالة السياق في فهم القرآن وتفسيره من أكبر أسباب الخطأ في فهم القرآن، فهو يُفضي إلى أخطاء جسيمة في التفسير، ويؤدي إلى انحراف واضح في معاني القرآن. وقد وقع كثيرون في هذه الأخطاء.

دلالة السياق الشرعي في إطارها الأصولي جاءت خادمة لمعنى النص، تأخذ بعين الاعتبار كون النص الإلهي متعالياً ومعجزاً وخالداً، وهي في الوقت نفسه تأخذ بنظر الاعتبار معهود المخاطبين والملابسات الجزئية التي صبحت صدور النصوص، فهي نظرية تتقيد بمقاصد الشارع، فلا تحدد النص الإلهي للهوى البشري والثقافة البشرية، بل تضع النص موضع المهيمن على الواقع والحاكم عليه، فما كان من أعراف أو أسباب خاصة، أو ملابسات صبحت صدور النص مقصودة للشارع فهي معتبرة في تفسير مساق النص، وما لم يقصدها الشارع فلا يمكن أن تكون مقصودة من مساق النص. إلا أن القراءة الحدائثية تجاوزت هذه المعايير في تفسيرها للنصوص الشرعية، وأرادت فهم دلالاتها بعيداً عن سياقات تلك النصوص، وذلك من خلال توظيفها للتطورات الدلالية اللاحقة والناجئة عن تفاعل اللغة مع التغيرات الاجتماعية، وإسقاط تلك الدلالات الحادثة على النص الشرعي، ولا يخفى أن تلك النظريات الألسنية نظريات لم تستقر ولا يمكن القطع بها، وليست محل اتفاق. ومن هنا تبرز أهمية دلالة السياق في الفهم الصحيح للقرآن والسنة وأن غيابها يؤدي إلى الفهم الخاطئ للقرآن والسنة. في هذا البحث سيتم تناول علاقة غياب السياق في القراءة الحدائثية في الفهم الصحيح للقرآن والسنة.

لقد استفادت هذه الدراسة بالبحوث السابقة منها التي قدّمها **حذيفة عبر الرحيم الطهان** تحت العنوان **أثر إهمال السياق القرآني في فهم آيات الوعد والوعيد** هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أهم المشكلات التي تنتج عن إهمال السياق القرآني في فهم آيات الوعد والوعيد في كتاب ربّنا المجيد -جلّ جلاله-. وقد أتت الدراسة الحالية بالموضوع الجديد وهو لمعرفة ظاهرة غياب السياق القرآني والفهم الخاطئ له وللسنة. وذلك نظراً إلى أهمية دلالة السياق في الفهم الصحيح للقرآن والسنة. فلعل هذه الدراسة تفيد معرفة علاقة غياب السياق في الفهم الخاطئ للقرآن والسنة.

منهج البحث

اعتمدت الباحثة في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي وهو "أسلوب من أساليب التحليل المركز على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة، أو موضوع محدد، أو فترة، أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية ثم تفسيرها بطريقة موضوعية بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة" (Duwaidurî, 2000). وسلكت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي وحاولت جمع المعلومات بطريقة البحث المكتبي أي البحوث التي اعتمدت عليها الباحثة في جمع بياناتها وتحليلها. وذلك بالرجوع إلى العديد من المصادر والوثائق والمراجع المتاحة. فقامت الباحثة بجمع البيانات والقراءة من المصادر كالقرآن الكريم والمعاجم والكتب والمصادر الإضافية كالبحوث أو المقالات العلمية التي تتعلق بموضوع هذا البحث. وفي تحليل البيانات استخدمت الباحثة طريقة مايلز وهوبرمان التي مرت بثلاث مراحل. الأولى تحديد البيانات المحتاج إليها التي تم جمعها، الثانية عرض البيانات وعرض علاقة غياب السياق في القراءة الحدائية للفهم الخاطئ للقرآن والسنة، الثالثة خلاصة نتائج البحث.

النتائج والمناقشة

أ. نتائج البحث

نتائج البحث تضمنت مفهوم الخطاب الحدائي أو القراءة الحديثة، نشأتها وأسباب نشوؤها، ومفهوم دلالة السياق، وهي كما تلي:

١. مفهوم دلالة السياق

الدلالة لغة هي الإبانة للشيء بإمارة تتعلمها يقال دللت فلانا على الطريق أي أبانة للطريق (فارس، ١٩٧٨). وذكر في المعجم الوسيط أن الدلالة هي الإرشاد (أنيس، ٢٠١١). أما تعريف الدلالة اصطلاحاً: مفهوم العام للدلالة عند مصطلح المتأخرين: أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم بها العلم بشيء آخر.

والسياق لغة جاء في (لسان العرب) عن لفظ السياق: ((سوق: السَّوْقُ: معروف بسياق الإبل وغيرها. وأما السياق اصطلاحاً فهو تتابع الشيء على نسق واحد.

بعد التعرض لمعني الدلالة والسياق اصطلاحاً، يأتي الحديث عن معناها معاً. فالتعريف المختار لدلالة السياق الشرعي هو: القرائن الدالة على المقصود في الخطاب الشرعي. والخطاب هو قيد لإخراج القرائن الحاصلة بغير خطاب كالقرائن في باب القضاء وغيرها. وأما الشرعي فهو قيد لإخراج غير الشرعي من مخاطبات المكلفين بعضهم مع بعض.

فالسباق هو عبارة عن وجود جامع بين عدة مداليل سواء كان ذلك الجامع هو الورد في خطاب واحد ذي غرض معين، أو كان الجامع هو الورد في كلام ذي محتوى واحد، أو كان ذلك الجامع عبارة عن اشتراك محمولات في موضوع واحد، أو موضوعات في محمول واحد، أو كان ذلك الجامع هو الاسناد في جملة واحدة، والدلالة الناشئة عن هذا الجامع هي ما يعبر بالدلالة السياقية.

٢. مفهوم القراءة الحدائية

القراءة لغة مصدر من قرأ-يقرأ-قراءة بمعنى تتبع كلماته نظراً ونطق بها (فارس، ١٩٧٩). ولها في الاصطلاح بمعاني عدة في الفضاء الشرعي، ومن ذلك تسمية ما ينسب إلى أحد القراء العشرة بالقراءة، واستعمال الفقهاء للقراءة بمعناها اللغوي وهو التلاوة (عبد المنعم، ١٩٩٩). ولكن المراد هنا فعل القراءة، والفهم، وطريقة الفهم ومنهجيته، والتأويل، والبحث فيما وراء الألفاظ، وارتبطت بنوع من نظريات نقد النصوص الأدبية الغربية، والتي تتميز بإعطاء مساحة أساسية للقارئ في فهم النص. وأما معنى الحدائية لغة مصدر من (حدث) وهذا الأصل يدل على كون الشيء بعد أن لم يكن. (منظور: ١٤١٤). ويرى نايف العجولني أنها اصطلاحاً: ((حركة تفكيكية تستمد معناها وقوة دفعها من رفض أو نفعي ما حدث قبلاً)) (فاطمة: ٢٠١١).

والذي يراد هنا بالقراءة الحدائية هي ما يتبناه المفكرون العرب من رؤى تجاه نصوص الوحي، إما في التنظير، وإما في الممارسة. وذلك نتيجة التأثير بالحضارة الغربية (الحريري، ٢٠١٥). حيث يرى محمد عابد الجباري أن القراءة الحدائية التي تتبناها يستدعي إعادة تأصيل الأصول بفكر منفتح، يجمع بين اعتبار المقاصد، والاسترشاد بأسباب النزول، وبين ضروريات وحاجيات وكماليات عصرنا.

فقد شكل توجه الغرب نحو تجاوز النصوص الدينية معلماً بارزاً من معالم ثورته على النظام الديني والسياسي الذي ساد فيه قروناً طويلة، واقتزن بهذه الحالة مناهج عدة حاولت القيام بمهمة تجاوز النصوص

المقدسة، رغبة في تسويد المفاهيم المعاصرة (صبري، ٢٠٢٣). وأما في نظر المفكرين الإسلاميين، فإن حقيقة القراءة الحدائرية إنما هو صدى للحدائرية الغربية بكل تجلياتها.

٣. القراءة الحدائرية في العالم العربي

لطالما شكّل العالم الإسلامي مشكلة فكرية وسياسية للدول الغربية، ولم تكن الصراعات الماديّة وحدها هي التشكل الوحيد لتلك الحالة، بل كان الصراع الفكري ميدانه الواسع كذلك، ومن المعلوم أن السيطرة الفكرية والسياسة قرينتان في غالب الأحوال؛ فما من سيطرة سياسية إلا ويقترن معها تأثير فكري، وكذلك العكس.

ولطالما تأثر الغرب بالعالم الإسلامي بسبب القوة السياسية التي كانت ظاهرة فيه، فتارة يهيم بعض أبنائه بلسفة ابن رشيد، وتارة تجذبهم جامعات الأندلس، وتارة تستحوذ اللغة العربية على ذائقتهم. وهذه الحالة من طبيعة البشر؛ فإذا كانت الأمم قد تتأثر ببعضها، وهي في سلامة وقوة، فكيف بحال الأمم المهزومة مع الأمم الغالبة؟

ومن أهم أسباب نشوء هذه القراءة الحدائرية في العالم العربي والإسلامي:

(أ) انتشار النفسية المنهزمة التي تحسس بالنقص أمام الاستعمار؛ والسبب في ذلك أن كثيرا من شعوب العالم الإسلامي والعربي بخاصة عانت من الإهمال والظلم في أواخر عهد الدولة العثمانية، ثم بدأ الاحتلال الغربي لبلاد المسلمين، وأظهر ما لديه من قوة مادية وثقافية؛ وهذه أجواء محفزة لنشأة تلك النفسيات المنهزمة، التي لم تجد دولة قوية تحميها وترتقي بها.

(ب) الفراغ الثقافي الذي كان يعانيه كثير من المسلمين، ومن أسبابه حالة الضعف السياسي، ووجود بعض من ينادي بعدم فتح باب الاجتهاد، ووجود الدعوة إلى العقائد الشركية الخرافية في بعض الأحيان. وهذا الجو ساهم بشكل كبير في وجود تصور غير صحيح عن الإسلام، بما فيه من معالم الجمال، والعدل، والقوة، والعزة.

ت) ابتعث نخبة من شباب العرب للدراسة في الجدول الغربية، فالشباب العربي الذي عاش أجواء التخلف السياسي والديني لا شك أنه سيذهب إلى الجدول الغربية القوية بقلب مفتوح، وعقل مهياً لاستقبال كل ما يلقي إليه، بغض النظر عن كونه صواباً أم خطأ.

٤. ركيزة ظاهرة غياب السياق في القراءة الحداثية

منهج الاتجاه الحداثي يقوم في هدر السياق الشرعي على ركيزتين أساسيتين:

الركيزة الأولى: مقاصد الشرعية الإسلامية.

يرى الحداثيون أن الشريعة جاءت لتحقيق بعض المقاصد العامة، ولم تهتم بالأشكال والوسائل الموصلة إلى هذه المقاصد، لأن هذه الوسائل متغيرة عندهم ولا يمكن حصرها، وبذلك أهدرت المنهجية الحداثية السياق، وقرائنه المقالية والمقامية، والتي هي من أهم التقنيات الأصولية للتعرف على مقاصد الشارع.

كما قال نصر أبو زيد عن إسقاط عمر لسهم المؤلفلة قلوبهم ((وقد أدرك عمر بن الخطاب حكمة التشريع الذي يعطي للمؤلفة قلوبهم نصيباً من الزكاة لا من بنيه النص ذاته، بل من السياق العام للنص، فأدرك أن حكمة هذا (التأليف) تقوية الإسلام الذي كان ضعيفاً. ومع قوة الإسلام وسيطرته على الجزيرة العربية وامتداده إلى ما وراءها لم يعد ثمة (حكمة) في إعطاء جزء من الزكاة لمن لا يستحقها)).

الركيزة الثانية: الهرميوطيقا الغربية

يتداول الخطاب العلماني مفهوم الهرميوطيقا، وأحياناً القراءة، وأحياناً التأويلية الحديثة، وهي مصطلحات يراد بها أحياناً معنى واحداً، وأحياناً معنى واحداً، وأحياناً تختلف المعاني بحسب السياق الذي يتحدث فيه، وذلك من أجل قراءة النص الشرعي قراءة تنويرية. هي منهجية لتحرير عقلية الناظر إلى النص من الأحكام والمقاصد التي أرادها المتكلم في خطابه، وإهدار القرائن المحتفة بذلك الخطاب، بخصوص النص الديني عموماً والشرعي خصوصاً، فهي لا تعني غير تحرير عقلية الناظر إلى النص الشرعي من الأحكام والمقاصد التي أرادها الشارع، وإهدار القرائن المحتفة بخطابه.

٥. دعوى إعمال السياق في القراءة الحدائية

لا تختلف دعوى إعمال السياق في القراءة الحدائية عن دعواهم إعمال المقاصد. فالحدائيون أخذوا منح الفلسفات المادية، والماركسية، ثم ألبسوها لحاء الشرعيات، فتارة يلبسونها نظرة السياق الشرعي، وتارة نظرة المقاصد الشرعية، وتارة علوم القرآن، وهكذا، حتى جعلوا معاني الشرعية تجري في غير سياقها. والواقع أن دعوى إعمال السياق في القراءة الحدائية لا يستقيم إلا على وجه واحد فقط، وهو القول بأنه إعمال في سبيل التعطيل للنص، لا التفعيل للنص، لا التفعيل للنص. وهذا هو الموقف الحدائي الذي يرى (أن للواقع الأولوية على النص) ويفرع عليه إيقاف النصوص وتعطيلها، مستشهدا بإيقاف عمر حد السرقة عام الرمادة، ونص المؤلفه قلوبهم بعد أن قوي الإسلام.

٦. نتائج ظاهرة غياب السياق في القراءة الحدائية

ظاهرة غياب السياق في القراءة الحدائية تنتج أموراً تالية بحاجة إلى المآخذة المنهجية عليها حتى لا تؤدي إلى أشر ضرر. وهذه الأمور منها:

الأمر الأول: إهدار مجالات إعمال السياق

يقول العز بن عبد السلام: السياق مرشد إلى تبيين المجاملات، وترجيح المحتملات، وتقدير الواضحات، وكل ذلك بعرف لوقوع الاستعمال. فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحا، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذما. فما كان مدحا بالوضع فوقع في سياق الذم، صار ذما واستهزاء بعرف الاستعمال. مثاله قول قوم شعيب ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ أي السفه الجاهل.

من شواهد على إهدار مجالات السياق هو:

أ) النزاع في سلطة النص الشرعي.

فإن من أوضح الصور المنهجية لإهدار السياق هو النزاع في سلطة النص الشرعي، وليس كما يتصور بعض الباحثين أن النزاع الحدائين هو من جنس النزاع في مراد الشارع من النص، بل الصواب أنه نزاع في وظيفة النص المركزية، والتي إذا جرّد منها أصبح جسدا بلا روح. ب) القول بنسبية النصوص ومعانيها.

من المجالات التي للسياق فيها أثر كبير، مجال الوصول إلى المعاني القطعية، ورفع الاحتمالات عن النصوص. ومن أهم إشكالات الخطابات الحداثية أنها في نظرتها لمعاني النصوص وسياقاتها، إما أن تحكم عليها بالتاريخية إن كانت نصوصاً قرآنية، أو بالبشرية إن كانت سنناً نبوية، فإن واجهتهم قطعية الآيات والسنن في ثبوتها ودلالاتها، يثبوا عن أسباب نزولها، وملابسات ورودها، وإلا قالوا بتغيرها وتطورها بحسب الزمان والمكان. فهي إما مقيدة بظروف الماضي، أو متغيرة بظروف الحاضر.

الأمر الثاني: إهدار طرق التوصل لإعمال السياق.

الجمع بين سياق النص وسياق الموقف من أهم طرق التوصل لإعمال دلالة السياق على وجه صحيح، لأن معنى الخطاب الشرعي لا يستقيم لإدراك أحدهما دون الآخر. مع ملاحظة اختلاف طبيعتهما وتباين طرق التوصل إلى كل قسم منهما، فالسياق المقالي يعالج الجوانب اللفظية من الخطاب والسياق المقامي يظل متلاصفاً

بالجوانب غير اللفظية التي تحتف بذلك الخطاب. فمعرفة دلالة السياق متوقفة على معرفة القرائن التي تكتنفه من مقالية ومقامية، وبمعرفة طبيعتهما تظهر دلالة السياق.

٧. المآخذ المنهجية على ظاهرة غياب السياق في القراءة الحداثية

من ملاحظة ظاهرة غياب السياق في القراءة الحداثية ضرورة المآخذ المنهجية عليها متبينة.

فما يمكن اتخاذه منهجياً على هذه الظاهرة هو:

(أ) التمسك ببعض ظواهر النصوص والغفلة عن سياقها

يتمسك الحداثيون ببعض ظواهر النصوص، ولا يراعون سياقها، ومن ذلك موقفهم من قول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٦٢)، حيث يراها الجنائيون محكمة في تقرير ليمان الكفار. والضابط "أن ما دل السياق عليه هو ظاهر الخطاب إلا بدليل". فالسياق لا يفسر بغير ما ظهر من كلام الله وكلام رسوله، ولا يعدل عن ذلك إلا بحجة من كتاب أو سنة لأن ما يتبادر إلى الذهن من المعاني يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه الكلام.

والجواب على ذلك قول ابن عاشور "ومعنى من آمن بالله: هو الإيمان الكامل أي الإيمان برسالة محمد ﷺ بقرينة المقام وقرينة قوله: (وَعَمِلَ صَالِحًا) إذ شرط قبول الأعمال الشرعي لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. وقد عدّ عدم الإيمان برسالة محمد ﷺ بمنزلة عدم الإيمان بالله لأن مكابرة المعجزات، القائمة مقام تصديق الله تعالى للرسول المتحدي بها يؤول إلى تكذيب الله تعالى في ذلك التصديق فذلك المكابر غير مؤمن بالله الإيمان الحق".

ومن النصوص القرآنية التي أهدر الحداثيون ظاهرها الحقيقي الذي دل عليه السياق، آيات الحكم بما أنزل الله، كقوله تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، وقوله تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، بحجة أنها مقطعة من سياقها التاريخي وسياقها النصي وهي إنما تستجيب لوضع معين، ولظرف محدد زمنيا دون آخر، وتتعلق في النص بيني إسرائيل.

والجواب عن ذلك ما حرره العلامة الشنقيطي -حفظه الله- بقوله: الظاهر المتبادر من سياق الآيات أن آية ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، نازلة في المسلمين؛ لأنه تعالى قال قبلها مخاطبا لمسلمي هذه الأمة (فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ وَاحْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا)، ثم قال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، فالخطاب للمسلمين كما هو ظاهر متبادر من سياق الآية. وسياق القرآن ظاهر أيضا في أن آية ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ في اليهود، لأنه قال قبلها: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ فِصَاصًا فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. فالخطاب لهم لوضوح دلالة السياق عليه.

كما أنه ظاهر أيضا في أن آية ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، في النصاري لأنه قال قبلها: ﴿وَلْيَحْكَمْ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وتحرير المقام في هذا البحث أن الكفر، والظلم والفسق، كل واحد منها ربما أطلق في الشرع مرادا به المعصية تارة، والكفر المخرج من الملة أخرى:

-ومن لم يحكم بما أنزل الله، معارضة للرسالة وإبطالا لأحكام الله، فظلمه وفسقه وكفره كلها كفر مخرج عن الملة.

- ومن لم يحكم بما أنزل الله متعقدا أنه مرتكب حراما فاعل قبيحا فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج عن الملة.

ب) تقدير معاني ومقاصد في كلام الشارع لا يدل عليها السياق.

ومن أشهر ما يحتج به الحداثيون على العلمانية، وهي الفصل بين سلطة النصوص الشرعية، ومصالح الدنيا الضرورية والحاجية والتحسينية، حديث: ((أنتم أعلم بأمر دنياكم)) والضابط في هذا أنه لا يقدر في الكلام إلا ما دل السياق عليه لأن من محاسن اللغة العربية الاختصار والابجاز

والجواب على ذلك قول الإمام ابن حزم: فهذا بيان جلي مع صحة سنده في الفرق بين الرأي في أمر الدنيا والدين وأنه ﷺ لا يقول الدين إلا من عند الله تعالى وأن سائر ما يقول فيه برأيه ممكن فيه أن يشار عليه بغيره فيأخذ عليه السلام به لأن كل ذلك مباح مطلق له. وإنما أبصر منه بأمر الدنيا التي لا خير معها إلا في الأقل وهو أعلم منا بأمر الله تعالى وبأمر الدين المؤدي إلى الخير الحقيقي.

ت) قطع النص الشرعي من سياقه وتجزئته المقالية والمقامية.

يتوارد الحداثيون على قطع النص الشرعي من سياقه، والجرأة على تأويله بعيدا عن قرائنه المقالية والمقامية. فالدكتور الشرقي ينكر فريضة الصلاة بذريعة أن القرآن لم ينص على عدد الركعات، ولم يلزم بهيئة معينة فيها.

ث) صرف الكلام الشرعي عن مقصوده وعماه هو في سياقه إلى غيره بلا دليل.

كثيرا ما يصرف الحداثيون كلام الشارع عن غرضه ومقصوده وعماه هو في سياقه إلى غيره بلا حجة ولا برهان. فمثلا ينكر الحداثيون ما هو معلوم من الدين بالضرورة تحفظ الضروريات الخمس من الدين والنفس، والعقل والنسل، والحال. ومن ذلك أنهم ينكرون حد شارب المسكر، كما يقول عبد المجيد الشرقي: إن هذه الثوابت التي تحكم الفكر ليست مطلقة، بل هي نسبية.

ج) حمل السياق الشرعي على الانقطاع

أصحاب القراءة الحداثية يحملون السياقات الشرعية على الانقطاع، ولا يحملونها على الاتصال مخالفين بذلك الأصل الذي قرره العلماء في هذا الباب، وهو أن الأصل حمل السياق على الاتصال لا على الانقطاع.

خلاصة البحث

ظاهرة غياب السياق في القراءة الحدائية بادية للعيان، سواء في ميدان التنظير أو التطبيق والممارسة. حيث إن القراءة الحدائية لا تقرأ النصوص بصورة كاملة وفق سياقها الشرعي وما يحف بها من القرائن المقالية والمقامية، بل تقطع أولها عن آخرها. وهذا يؤدي إلى الفهم الخاطئ للقرآن والسنة بما له عدم مراعاة السياق في فهم القرآن والسنة. المنهج الأصولي يقوم على اعتبار السياق في تفسير النصوص، حيث فطن الأصوليون إلى عناصر السياق المقالي والمقامي وأثرها في تحديد المعنى. وشواهد هذا كثيرة، أبرزها دراستهم للقرائن المخصصة للعام سواء متصلة أو منفصلة، والتي تمثل سياق الحال كالحس، والعقل، والعرف، وغيرها. الاهتمام بالمقام أو (السياق الحالي) بالإضافة إلا سياق اللفظ، ضروري للوصول إلى المعنى الدقيق للنص، لأن الكلمة إذا أخذت منعزلة عن السياقين: اللفظي والمقالي لا معنى لها ولا قيمة. وأثبت هذا البحث أن ظاهرة غياب السياق في القراءة الحدائية للنصوص الدينية تمثل تحديا كبيرا للفهم الصحيح للقرآن والسنة.

المراجع

- Abdul Mun'îm, Mahmûd bin Abdur Rahman. *Mu'jam Al-Musthâlahât wal Alfâz Al-Fiqhiyyah*. Darul Mufîdah.
- Al-Harîrî, Sa'ad ibn Muqbil ibn 'Isa. 2015. *Zâhiratu Ihradis Siyâq fil Khitâb Al-Hadatsî*. Riyâd. Maktabah Tariqil 'Ilmi.
- Al-Kalâm, Yûsuf. 1434. *Al-Qirâat Al-Hadatsiyah lil Qurâan Al-Karîm wa Manâhiji naqdil Kitâb Al-Muqoddas*. Ar-Riyâd. Majallatul Bayân.
- Anis, Ibrahim. 2011. *Al Mu'jam Al Wasît*. Qahirah. Maktabah Asy-Syurûq Ad-Dauliyah.
- An-Nasirî, Fâtimah Az-Zahrah. *Al-Qirâah Al-Hadatsiyah Lin Nashi Al-Qurâani*. <https://islamonline.net>.
- Bahjat Husain Sabri, Hadî. 2023. *Al-Qirâah Al-Hadatsiyah Mafhûmuhâ wa Nasyatuhâ wa Samâtuhâ*. Al-Majallah Al-Arabiyah Lin Nasyri Al-'Ilmi.
- Duwaidurî, R. W. 2000. *Al-Bahtsu Al-'Ilmiy Asâsiyyatuhu An-Nazariyyah wa Mumârasâtuhu Al-'ilmiyyah*. Damaskus. Daru Al-Fikr.
- Ibnu Fâris. 1979. *Mu'jam Maqâyisil Lughati*. Beirut. Darul Fikr.
- Ibnu Mandzur. Abu Fadl Muhammad ibn Mukarram ibn 'Ali. 1414. *Lisânul 'Arab*. Beirut. Dar Sadir.
- Khalîf, Abdul Qâdir. 2017. *Mustalahul Qirâah fîn Naqdi Al-'Arabi Al-Mu'âsir*. Al-Zajâir. Jâmi'ah Qâsidi Miryâh.